الفصل الثالث:
حراء.. شمس متجددة

- حراء... شمس متجددة
- حراء تشرق في اليمن السعيد
- "الروح" مفتاح نهضتنا
- الإسلام في حاجة إلى فعل
- أمة في رجل

حراء... شمس متجددة[٦١٠]

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾(العَلَق:١-٢)

مع كل صباح تزحف أشعّة الشمس ببطء وهدوء مبدّدةً بَقايا الليل المظلم، معلنة عن مَولد نهار جديد.

وأكثر الناس لا يملكون الوقت، وليس لديهم الباعث ليراقبوا زحف أشعّة الشمس وهي تكتسح ركام السحب وجبال الغيوم؛ لأنهم يعلمون أن الشمس لا بدّ أن تنتصر، وأن النور لا محالة قادم. ولأنهم -كذلك- أَلِفوا تداولَ الليل والنهار خضوعا للسنّة الكونية في كل يوم.

وهكذا تمضي سنّة التداول في الزمان -دون فعْلٍ إنسانيّ- فيعقب الليل النهار، ويعقب النهار الليل.. وهكذا الأمر في الظلام والنور، والشتاء والربيع.

وقد يطول ليل الشتاء، لكن مجيء الربيع حتميّةٌ كونية؛ وقد تسود جحافل الظلام في غياب "النور"، لكنّ سنة الله الكونية لا تتخلف. فسرعان ما يعود "النور" إلى الظهور.

وهنا يظهر الفيصل بين السنّتيْن "الطبيعية الكونية" و"الاجتماعية

---

[٦١٠] مجلة حراء، العدد:٢ (يناير-مارس ٢٠٠٦).

الحضارية"؛ فعلى الرغم من وحدة القانون، إلا أن الفعل الإنساني له دورُه المؤثّر في سنة التداول الاجتماعية الحضارية.

الربيع الحضاري

ففي حالة وجود الفعالية الإنسانية، والالتحام الإنساني الواعي بالسنة الطبيعية، والالتزام بثوابت الوحي وتوجيهاته العليا، في هذه الحالة ينجح الإنسان في إطالة فترة "الربيع الحضاري"، ربيع الازدهار والعطاء.. وتمتدّ بالتالي مساحةُ النور عبْر الخريطة الإنسانية.

وعلى العكس، فعندما تُسيطر السكونية السلبية، ويُصبح الإنسان مجرد جزء من الزمان، يمتدّ الشتاء بقسوته وظلامه، وتنكمش مساحة النور، وتذبل سريعًا أزهار الربيع.

وهنا يتألق دور المؤمنين الفاعلين من خرّيجي مدرسة "حراء" التي هبطت عليها أشعّة شمس القرآن الأولى ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾(العَلَق:١-٢).. إنهم مطالَبون بالتغيير والتعمير والحركة باسم الله، ومطالَبون برفض الجمود الذي يجعلهم كأنهم بعض الزمان وخارج الحضارة والتاريخ، ينتظرون -وهم قاعدون عاجزون- دورة السنّة الطبيعية في التداول، دون أن يعملوا على تحقيق التكامل بينها وبين السنّة الاجتماعية، سنّة التغيير الداخلي انطلاقا للتغيير الخارجي: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾(الرعد:١١).. إنهم -لو كانوا مؤمنين حقّا- أسمى من أن يصبحوا جزءًا من الصيرورة والزمان.. إنهم في حقيقتهم محرّكو قطار التاريخ الحضاري، وقادة "النور"، وهم القادرون قبل غيرهم على حمل مشاعل الوحي وأضواء العقل.. وبالتالي هم الذين

يستحقّون "الاصطفاء" ليحقّقوا "الشهادة" على الناس، ويبْلغوا مرتبة "العباد الصالحين الوارثين للأرض": ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾(آل عمران:١١٠).

وحتى لو عثرت بهم أحجار عبْر مسيرتهم في التاريخ، فهم -مع ذلك- المؤهَّلون للأوبة والبعث والإقلاع، مهما تطُلْ غيبتُهم عن مسرح الحضارة والتاريخ. إن لهم معالم يهتدون بها، ولهم ثوابت من الوحي -لا يأتيها الباطل- تأخذ بأيديهم إلى التي هي أقوم.

لقد غاب المسلمون حضاريًّا منذ عدة قرون، فتقدم الأوربيون -في الفراغ- وقادوا الدنيا بالعقل وحده، ونظروا بعين المسيح الدجال، وكالوا بمكاييله، وقاسوا الأمور بمعاييره المزدوجة، وزعموا أنّ لهم "جنّة" هي حضارتهم المادية الشَّيئية، ولهم "جهنم" اخترعوا لها صورًا من الدمار.. وقد قدّموا -وهذا لا يُنكر- خدماتٍ علمية، لكنهم أتعسوا الإنسان بالدنيوية والعنصرية والحروب لأتفه الأسباب وباختراع قوانين الصدام ونظرياته المتهافتة (!) وتُوشِك البشرية التي حفروا لها القبور -حسْب مقولة "رجاء جارودي"- أن تنْتحر انتحارًا جماعيًّا عولميًّا، وتفقد ذاتها ودنياها وآخرتها.

فلا بدّ أن يستيقظ المسلمون، وأن ينفُضوا الغبار عن أجسادهم وعقولهم، وأن يخرجوا من الكهف متلطِّفين في خروجهم، حُداةً على آمال الإنسانية، وحماةً لها من الانتحار والدمار، بالحكمة والقدوة والحوار.

ولا بدّ أن يعود معنى الصلة بين السماء والأرض.. ذلك الذي تألق في "حراء" ذات يوم من سنة ٦١٠م معلنًا عن ميلاد جديد للإنسانية. فما أحوج إنسانيتنا المعاصرة أن تُولَد من جديد وأن تقرأ من جديد ﴿بِاسْمِ

رَبِّكَ﴾، لا بِاسم المادة أو الصراع أو العلم الذي لا ينفع، والذي لا يخشى علماؤه الله...

لقد عاش المسلمون أكثر من عشرة قرون منذ هبطت عليهم ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ سادة الحضارة -كما يقول أكبر مؤرّخي القرن العشرين "ولْ ديورانت"- وبهم بدأت الحضارةُ دورةً إنسانية جديدة تخلصت فيها من ظلام استمرّ عشرة قرون هي "القرون الوسطى" -كما يقولون-، بل تخلصت من ظلام هيمن على الحضارة الإنسانية عشرات القرون قبل ظهور العصر القرآني، في ظل حضارات وثنيّة وأسطورية واستعلائية، لم تقدّر الله حقّ قدره إلا في القليل النادر من الزمان. بينما اخترعت مئات الأصنام والأوثان وخضعت لها خضوع العبيد فاقدي الوعي والإحساس.

وعندما نزلت ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ في حراء، كانت شمسًا جديدةً تطلّ على الكون، جامعةً في نسيجٍ واحد بين قراءة الوحي والعقل والكون؛ فتحَقّق لأول مرة في تاريخ الحضارات رسم خريطةٍ تتناغم فيها الربّانية والإنسانية على امتداد إشعاعات الوعي الإنساني.

وما كان ممكنًا قبل هذا الحدث الفارق أن تكون هناك حضارة إنسانية تتصل فيها الأرض بالسماء من خلال وسائل تتحدد فيها العلاقة الواضحة بين "الله" المعبود الخالق وبين "الإنسان" العابد المخلوق.

لقد كان "الكون" قبل هذا الحدث الذي وقع في "حراء" معبودًا يخشاه الإنسان ويتقرب إليه بشتّى القرابين ووسائل التعبير الدالة على الخضوع والخوف والعبادة. فجاء "العصر القرآني" يضع الكون في مكانه الصحيح، كونًا مسخَّرًا للإنسان، ليستخدمه الإنسان لتحقيق العبودية لله، وتعمير الأرض باسم الله، ولتسبيح الله. وبالتالي أصبح الكون الذي كان

في الوعي الإنساني الوثني معبودًا "عابدًا" خاضعًا للبحث والاكتشاف والتسخير. ورجع الكون في الوعي الإنساني إلى حجمه الصحيح، مفْعولاً به وليس فاعلاً، مطبعةً لا طابعًا، نقْشًا لا نقّاشًا، متحفًا ومعرضًا لإظهار تجلّيات الخالق العظيم الذي استخلف الإنسان وعلَّمه الأسماء كلها وزوّده بالوحي والعقل والإرادة.

الإسلام والتعامل مع الكون

وما كان ممكنًا قبل هذا التحول الذي قدّمه الإسلام في التعامل مع الكون، أن تكون هناك حضارة إسلامية تمثل منعطفًا جديدًا في تاريخ التمدّن الإنساني. وما كان ممكنًا -كذلك- أن تكون هناك حضارة أوربية أو رُقيٌّ إنساني. بينما الكون معطَّل عن التسخير، يحتلُّ مكانةً "مقلوبة"، فتتعطَّل مع وضعه المقلوب ملكات الإنسان، وبالتالي لا يجد الإنسان عالم "الآفاق" الذي يحقق من خلاله شروط الاستخلاف.

لقد نجح المسلمون "السلف" خلال مدة تزيد على عشرة قرون -كما ذكرنا- في أن يقدموا حضارةً معتدلة الموازين والقيم، تتكامل فيها ثوابت الوحي مع حركة العقل مع الرؤية الرشيدة للكون والحياة.

فلما اختل الميزان في أيديهم وفقدوا مؤهلات القيادة الحضارية، وخَلَفَ من بعدهم خلْف أضاعوا الصلاة واتّبعوا الشهوات، وأهملوا العلم والعمل، وفقْه السنة الكونية والاجتماعية.. أخذ منهم الأوربيون القيادة فتحركوا بالعقل وحده، مؤلِّهين "المصلحة" و"المادّية" في إطار الفرد والمذهب الفردي طورًا، وفي إطار الجماعة والمذهب الجماعي طورًا آخر. وكانت الآخرةُ والروحُ والجوانبُ الدنيوية بعيدةً كل البعد

عن التنظير والتخطيط والتطبيق هنا وهناك. فعادت سفينة البشرية تجنح إلى الغرق من جديد، وسيطرت "القوة"، ومع القوة "الظلم"، ومع الظلم "ازدواج المعايير"، ومع اختلال الموازين سيطرت "العنْصرية" و"الأنانية"؛ فارتفعت بالتالي رايات الصدام والشقاء، وانخَفضتْ رايات التعارف والسعادة.

وهنا، وعند هذا المَحاط، لم يبق إلا أن يعود المسلمون إلى القيادة من جديد، متجاوزين عصر الانحطاط، دخولا في دورة حضارية أخرى، ووصولاً بعون الله إلى عصر الشهادة على الناس، والخيرية، والقيادة الحضارية للإنسانية.

وكما خرج "النور" من "حراء" عندما هبط الوحي معلنًا بداية العصر القرآني، "عصر تكامل القراءات السماوية والكونية والعقلية"، كذلك ينبغى أن يتمثل المسلمون في دورتهم الحضارية الجديدة معاني البعث القائم على القراءات المتناغمة المتكاملة السابقة بلا تعارض أو خلل.

شمس القرآن

ومن هنا ينبغي النظر إلى شمس القرآن بعين جديدة "أصيلةٍ معاصرةٍ" لا تهمل الماضي ولا تتجاهل المستقبل. وفي هذا المقام قد نجد بين أيدينا عددًا رائعًا من الرؤى التي لا يمكن الغضُّ من قيمتها ولا الانتقاص من قدر أصحابها. هؤلاء الأعلام الذين حاولوا بعث الأمة من خلال الحياة في ظلال القرآن والحياة في فقه السيرة.

بيْد أننا نرى أن لـ"رسائل النور" لبديع الزمان سعيد النورْسيّ ريادة خاصة، كما نرى للمشروع الفكري الذي يقدمه بآلياتٍ معاصرة عمْلاقة

الداعية المصلح "فتح الله كولن" ممثلاً في "النور الخالد" وفي نحو ثمانين كتابًا معه ريادةً خاصة كذلك.

والمشروعان لا ينفصلان، وكلاهما قدَّم ما يستطيع في ظل الظروف المتاحة، وهما يصبّان في خندق واحد ويتّجهان إلى غاية واحدة.

إنها غاية إنقاذ الإنسانية والمسلمين، من خلال "القرآن" ومن خلال تطبيق النبيّ الكريم للقرآن على الواقع، وهو النبيّ الكريم ﷺ الذي كان "قرآنًا" يمشي على الأرض، والذي كان "خلقه القرآن" قولاً وفعلاً وتقريرًا، بعيدًا عن "المثالية" العاجزة عن التطبيق والتي حلُم بها الفلاسفة الطوباويون.. وأيضًا ارتفاعًا بمستوى "الواقعية" التي يهبط بها إلى "الحيوانية" الواقعيون.

لقد قدم النبي ﷺ واقعيةً ترتفع إلى قريب من شمس "النور الخالد".. شمس المثالية الإنسانية التي لا يمكن أن يصنعها إلا كتاب الله فكرًا وتربيةً وتنظيرًا، وسيرة الرسول الكريم ﷺ فعلاً وحركةً وتطبيقًا.

وبالفكر القرآني والتطبيق النبويّ تتحقق الحضارة الإنسانية التي انطلقت من "حراء"، بعد أن هبط بها جبريل عليه السلام من السماء: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾(الور:٣٥).

وعلى المسلمين استئنافها اليوم مستعينين بالله..

وما ذلك على الله ببعيد!.

حراء تشرق في اليمن السعيد[٦١١]

في جنوب الجزيرة العربية تقع "اليمن السعيدة" التي اشتق اسمها من "اليُمن" وهو الرخاء والبركة، والتي تحدّها شمالا العربية السعودية، وجنوبا البحر العربي، وشرقا الخليج العربي، الذي يسمى أيضا بـ"خليج فارس"، وغربا البحر الأحمر.. عاصمتها الأولى هي "صنعاء"، وتنطق "صنعا" (بدون همز)، والتي ترتفع عن سطح البحر بـ"٦٩٠٠" قدما.. ومما قاله عنها في العصر الحديث المؤرخ أحمد فخري: "إنه ليس في مدن الشرق مدينة تشبه صنعا لنُقارنها بها، فهي فريدة في موقعها، وفريدة في طراز بنائها، وفريدة في أسوارها، وفريدة في مظهرها الشرقي الخاص، الذي يجعل السائر في طرقها يحس بأنه انتقل بضع مئات من السنين، فيتصور نفسه في بغداد وفي غيرها من مدن الحضارة الإسلامية".

وتمتاز هذه المدينة بموقعها الجغرافي، فهي وسط وادٍ فسيح تحيط بها الحقول والحدائق التي تمدها بحاجتها من الغذاء والمرعى، وتحيط بها الجبال العالية، فيزيد ذلك في منعتها، ويجعل الاستيلاء عليها أمرا غير يسير.. وجوّها معتدل طول العام؛ فشتاؤها غير قارس، وصيفها غير حار. وتعرف "صنْعا" باسم "مدينة سام" نسبة إلى "سام بن نوح عليه السلام"، ويقال إنها

---

[٦١١] مجلة حراء، العدد:١٢ (يوليو-سبتمبر ٢٠٠٨).

أقدم مدينة عمرت بعد الطوفان.

إن رائحة جغرافية الجزيرة العربية نافذة قوية في صنعاء.. فأنت تمشي في ظلال جغرافية جنوب الجزيرة أصل القحطانيين، بَيْدَ أن رائحة التاريخ، والعروبة والإسلام أقوى وأنفذ من كل روائح الجغرافيا والجيولوجيا، والأركيولوجيا.. ولم لا؟! أليس سكّان اليمن عربا أُصلاء يتكلمون اللغة العربية، وأيضا أليست اليمن أصل الأنصار، هؤلاء الذين قال الله فيهم: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾(الحشر:٩)؟! بلى، إن اليمن أصل الأنصار أوْسهم وخزْرجهم.. والأنصار شطر المسلمين، وبدونهم ما كان يمكن أن تصنع في يثرب التي أصبحت مدينة رسول الله ﷺ دولة الإسلام الأولى. فبحقّ إن الإيمان "يمانٍ"، وإن الحكمة "يمانية"... وقد تجلّى الإيمان وتجلت الحكمة في دولة الرسول ﷺ الأولى، دولة المؤاخاة بين قحطان وعدنان أو بين الأنصار والمهاجرين الذين قدَّموا معا أروع نموذج للدولة المؤمنة الحكيمة عبر التاريخ. وحسبها أنَّ قائدها وإمامها هو خاتم المرسلين محمد ﷺ، وأن "البشر" المكوّنين لها هم خيرُ أمة أخرجت للناس، وهم الصفوة الذين حملوا الإسلام إلى العالم ونشروه بالحب والحكمة، والإيمان القولي والعملي.

لم تعرف اليمن حدة الصراع المذهبي، بل كانت دائما قادرة على إقامة كيانها الفكري على أساس المرجعية الإسلامية الأصيلة، في جو من التسامح والعفو والحب والتيسير. دخلها المذهب الحنفي وغلب عليها. وبأدب جم انسحب الأحناف الرائعون، وأفسحوا المجال للمذهب المالكي. ومع أوائل القرن الثالث الهجري دخل مذهب الإمام الشافعي

-بحب ووفاء- فطوى تقريبا صفحة الآراء الفقهية السابقة، وأصبح المذهب الشافعي هو المذهب السائد.. ومن ثم استطاع الإمام التقي الهادي يحيى الحسين الزيدي أن يدخل بفقهه إلى اليمن، معتمدا على "مجموع الإمام زيد الفقهي والأصولي" والذي اعتمد في حديثه على أبيه "علي زين العابدين"، وأخيه "محمد الباقر" رضي الله عنهما.. وقد كان مذهبه منسجما مع فقه أبي حنيفة اعتمادا على ما كان بين زيد وأبي حنيفة من علاقة ودُود، وقامت العلاقة بالتالي بين الزيدية وإخوانهم الشافعية على أروع ما تكون الأخوة، وعلى أفضل ما يكون التكامل والتسامح.

مجلة حراء تشرق في اليمن

في أجواء عبق هذا التاريخ، الموصول بالجغرافيا، والملتحم بتاريخ العروبة وحضارة الإسلام، ذهبنا إلى صنعاء ممثلين لأول مجلة عربية تصدر -بلغة القرآن- في تركيا بعد سقوط الخلافة العثمانية سنة ١٩٢٤م.

إنها مجلة "حراء" التي يجاهد ناشروها الأبرار من تلامذة داعية عصره، حامل همّ المسلمين الأكبر "الأستاذ فتح الله كولن" -أطال الله عمره-، الذي ينأى بدعوته عن السياسة والساسة، هادفا إلى نشر بذور الإيمان، وتعهدها وسقيها وإنضاجها، وترك ثمراتها لمن عنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ﷻ.

إن مجلة "حراء" ذات رسالة إسلامية ترتفع فوق القواطع والفواصل، فهي تخاطب كل المسلمين ولا تقف كثيرا عند آرائهم أو اتجاهاتهم الفقهية أو الفكرية ما داموا في نطاق الكتاب والسنة. إنها علمية ثقافية تعنى بالعلوم الطبيعية والإنسانية والاجتماعية، وتحاور أسرار النفس

وآفاق الكون بالمنظور القرآني، من أجل أن ترتفع بالإنسان المسلم إلى المستوى المعرفي والكوني الذي وضَعَهُ الله فيه منذ أن أمره بأن يحذوا حذو نبيّه ﷺ فيقرأ قراءة معرفية وكونية: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اِقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾(العلق:١-٥)، فجمع الله بين القراءتين معا لكي يقع التآلف والتناغُم بين العلم والإيمان، والعقل والقلب، والفكر والواقع. ولهذا كان لا بد أن تكون المجلة قرآنية الصبغة، عَصْريَّة الصياغة، جامعة بين الأصالة والمعاصرة، بمنهجية وسطية، لا تعتمد التلفيق بل التوفيق، ولا تقبل بالتصادم بل تجاهد في سبيل التكامل، بعيدا عن السكونية، وعن الإفراط والتفريط.

وهناك في صنعاء، ذات التاريخ الإيماني والحضاري العريق، وفي اليوم الحادي عشر من فبراير عام ٢٠٠٨م صبيحة يوم الاثنين، كان اللقاء في فندق "موفمبيك" في الساعة العاشرة والنصف صباحا، وفي ظل استقبال حار من الجامعات اليمنية بدءًا بجامعة صنعاء إلى جامعة العلوم والتكنولوجيا، إلى مسؤولين رسميين ومفكرين ومثقفين يمنيين.

نعم، كان اللقاء، لكنه لم يكن لقاء عاديا، ولم تكن مجلة "حراء" في هذا اللقاء مجرد مطبوعة تعبر عن الأصالة التركية الإسلامية والحضارة التي لا تنسى الوشائج بين العرب والترك، ولا تنسى أن بيننا الكثير مما يجمعنا، وأننا عشنا قرونا طويلة شركاء في سفينة حضارية واحدة بل كان الأمر أعمق من ذلك، فهو دعوة من العالم التركي إلى العالم العربي لعودة التواصل الحضاري انطلاقا من الثقافة والفكر والأمة، انتظارا ليوم تعود فيه أمة الإسلام قائدة للإيمان، حاملة راية الحب والتسامح والأخلاق إلى

العالم بعد أن أوشكت سفينة القيم أن تغرق.

كان اللقاء رسالة بين عالَمين، وفتحا جديدا يعمق الحب بين قلوب -هنا وهناك- حاولت صروف الدهر أن تقضي على ما بينها من وشائج وأواصر ممتدة في التاريخ. كان عدد الضيوف من خارج اليمن قليلا يتمثل في الوفد التركي (حامل رسالة "حراء" والحب إلى اليمن) وعلى رأسه الأستاذ "مصطفى أوزجان"، والأستاذ "نوزاد صواش" رئيس تحرير مجلة "حراء"، بالإضافة إلى عدد من الضيوف الأتراك يقتربون من عشرين ضيفا من بينهم الأستاذ "جمال تُرك" مدير أكاديمية العلوم بإسطنبول، والأستاذ "شكري شاهين" مدير النشر بالقاهرة، وغيرهم.

ومن الضيوف غير الأتراك، من كتّاب مجلة "حراء" الأستاذ الدكتور "عمار جَيْدَل" الأستاذ بجامعة الجزائر.. وحضر اللقاء وزير الثقافة والإعلام اليمني ومستشار الرئيس للشئون الثقافية الشاعر والمفكر المعروف الدكتور عبد العزيز المقالح.

وتوالت الكلمات بإدارة الأستاذ "نوزاد صواش" رئيس تحرير مجلة "حراء"، وتتابعت من الأساتذة بصنعاء فتكلم الأستاذ الدكتور داود عبد الملك الحدابي، والأستاذ الدكتور سيد مصطفى سالم، والدكتور على بن العجمي العشي، والدكتورة أمة الملك الثور، والدكتور محمد عبد الله المحجري، والدكتورة نجاة صائم خليل، والأستاذ حسين صالح على البهجي...

كان الأستاذ نوزاد صواش ماهرا في إدارة الندوة، جامعا بين اللغة العربية الفصيحة والأصالة التركية والدعابة العربية. كان يضفي على الجميع من أخلاقه، ويثني عليهم مستمدا خزينة حكمته ومعلوماته لكي

يلبس كل واحد منهم الثوب الجميل اللائق به، وقد أدهش الجميع لتمكنه من العربية ودعاباته، وحسن تقديمه.

وكان شيئا بديهيا أن يكون الأستاذ مصطفى أوزجان، أول من يتكلم بل ويمثل الجانب التركي ومجموعة قاياق للنشر الثقافي التي تعدّ من أهم مجموعات النشر في تركيا، والتي تقوم بنشر مختلف الكتب وبمختلف اللغات وفي مقدمتها اللغة التركية والإنجليزية والألمانية والروسية والعربية، وغيرها من اللغات.

وفي كلمته التي ترجمها إلى الجمهور رئيس تحرير "حراء" أعلن الأستاذ "أوزجان" سروره بوجوده بين إخوانه في اليمن بلد الإيمان والحكمة، وأعلن ترحيبه بالجمهور الكبير الذي قبل الدعوة الكريمة، وبجهود أبناء اليمن في تذليل كل العقبات، وفي الإعداد لهذا الحفل الناجح بكل المقاييس. كما أعلن ثقته في مستقبل يقوم على التواصل الحضاري، وثقته في أن "حراء" سيصاحبها النجاح في كل الآفاق التي ترتادها مشيرا إلى أن نجاحات "حراء" تطرد منذ نشأتها في عام ٢٠٠٥م بإصدارها الفصلي، وذلك لما يلمسه من تنامٍ للوعي عند المسلمين، وأن من الضروري الاستمرار في تعميق هذا الوعي وانتشاره، وأن نفكر في هدوء دون أن نقع في ردود الأفعال، والتصرفات العاطفية التي قد تؤثر سلبا على رسالتنا مؤكدا أن "حراء" تسعى دائما إلى تكوين مدرسة فكرية يلتقي فيها العقل والوجدان.

وفي تعليقه على كلمة الأستاذ "أوزجان" وجه "صواش" دعوة إلى أصحاب العقول النيرة والقلوب المستضيئة في اليمن والعالم إلى أن يودعوا صفحاتها كلمات من أقلامهم، وقال: "إن "حراء" مجلتكم إنها

مجلة العالم الإسلامي، وأبوابها مفتوحة لمن يريد الولوج إليها حتى تكون ملتقى للتقارب والتآلف، وجسرا للمحبة والتعارف.. تستوحي المعاني العظيمة في رسم الطريق إلى المعرفة الإيمانية التي تريدها لمسلم هذا اليوم، وهو ما تعمل "حراء" على أن تكرس له نفسها، وما تحب من أصحاب الأقلام والقراء أن يعينوها عليه".

وفي كلمته قدم الدكتور "عبد الحليم عويس" مشاعره تجاه "حراء" واليمن، وأعلن سعادته بالتواصل الثقافي التركي اليمني، وذكر أن "حراء" قطعة منه، فقد عاش معها منذ ولدت وتألقت آفاقها الفكرية العلمية الإيمانية الوجدانية، منذ بدأت "حراء" تخطو خطواتها، وتتوالى أعدادها.. ورجا من الله أن تصبح "حراء" مجلة شهرية واثقا من أنها ستقوم بدور فكري دعوي رائد حينما تتجاوز هذه العقبة وتصبح شهرية.

وبأسلوب يجمع بين العلم والإحصاء والحب عرض لنسبة المقالات في ضوء اتجاهاتها الفكرية خلال أعدادها السبعة الأولى التي صدرت في نحو عامين، وأشار -بشيء من الدعابة- إلى أن نسبة الأدب -شعرا ونثرا إبداعا ونقدا- هي أكبر نسبة نظرا إلى أن رئيس التحرير أديب وأكاديمي في الدراسات الأدبية، وكان طبيعيا أن يتحيز إلى الأدب، وجاءت الإسلاميات بعد الأدب، بينما لم تتجاوز دراسات التاريخ والحضارة وفلسفة التاريخ نسبة ١١٪. وأشاد باهتمام المجلة بالعلوم سواء كانت علوما تكنولوجية أم نفسية أم تربوية، لاسيما في معالجتها بالمنظور الإسلامي.. كما أشار إلى إيجابية طرحها وتنوعه في الموضوعات، وارتفاع مستوى المعالجة، وتألق الروح الإيمانية التربوية في كلمات أستاذنا "فتح الله كولن" التي تتصدر المجلة، وحتى العلم -مع موضوعيته- يعرض بأسلوب أدبي،

وبروح إيمانية.. فـ"حراء" مائدة حافلةٌ متألقة روحا، مشرقةً أسلوبا، رائعةً إخراجا.

وعندما جاء دور الأستاذ "عمار جيدل" الجزائري في الحديث أشار إلى حاجة العقل المسلم إلى مجلة أو مأدبة -كحراء- تخاطب عقله وروحه معا غير متجاهلة لمنهجية العلم، ولأعماق الأصالة ومقتضيات المعاصرة.

ولم يقف الحفل عند هذه الكلمات، بل رافق هذه الكلمات تقديم فيلم مختصر عن "حراء" منذ ولدت فكرةً، وغرست بذرةً، واشتد ساعدها، وبدأت تعطي ثمارها الطيبة للإنسان المسلم عقلا وروحا وقلبا.

ومع نهاية الحفل تبودلت الأحاديث، وطرحت الآمال بين أكثر من مئتي مدعو من المثقفين والمفكرين والدعاة والمسؤولين في اليمن. وكان الحفل تدشينا لموقع جديد تقتحمه "حراء" بالحب والتعاون والإخاء.. وقد تسابق المدعوون إلى أن يأخذوا هداياهم من "حراء"، ومن بعض المنشورات الأخرى الدائرة في فلك "حراء"، وكلهم يريد أن يستوفي أكبر نصيب ليضع في بيته، وأمام أبنائه في اليمن السعيد إضافةً إيمانية تربوية تضيء له درب الحب الإسلامي، وتصله بالعوالم الإسلامية التي نتمنى أن نقول عنها ذات يوم "إنها عالم إسلامي واحد، وإن قبلة المسلمين الواحدة، قد أصبحت وحدها هي ما يرنون إليه استئنافا لعصر الرسالة، في زمن العولمة، عودة إلى المكان الحقيقي الذي اصطفاهم الله له، شهداء على الناس.. وأيضا، وبإذن الله وعونه ومن جديد خير أمة أخرجت للناس".

وقد أرسل الأستاذ المربي والعالم المفكر محمد فتح الله كولن رسالة تهنئة جمعت بين الفكر العميق والدفء والشوق. وفيما يلي نص الرسالة:

رسالة الأستاذ فتح الله كولن

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرات السادة الأفاضل، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

إننا نشعر بالغبطة والسرور، إذ نجد أنفسنا بين أحضان أهل اليمن الكرام. تماما كشعور الأخ الذي وجد أخاه بعد ضياع لزمان طويل، فلصلة الرحم الآن لهيب من المحبة الغامرة، والشوق القديم.

ولقد وجدنا اليمن وأهله -كما حدّث عنهم التاريخ- أهلَ كرم وجود وحضارة أصيلة ومحتد أثيل، وما يزال اليمن ينتج الرجال والفحول، ولم يزل أهله يزودون العالم بأخلاقهم النبيلة، فيسهمون في نشر الدين الحنيف تبعا لمسلك أخلاق أجدادهم من الصحابة والتابعين. كان الرضا الإلهي هنا ينبض بالكرامات منذ أن أشرق النور في قلب أويس القرني ﷺ إلى أن نبت جيل هذا العصر الجديد، فكم من شعوب أسلمت بالنظر إلى خطاهم والاستماع إلى منطقهم الحكيم.

أيها الحضور الكريم..

إن حبنا لأهل اليمن أصل أصيل، فمنذ زمان انطلقت قلوب من بلاد الأناضول تسعى إلى الدفاع عن أرض اليمن السعيد يقودهم حب إخوانهم ونصرة أحبتهم وواجب دينهم.. جاؤوا من أقصى الأرض يسعون كما جاء رجل من أقصى المدينة يسعى، فارتقى في مراتب الخلود عند رب العالمين. والآن جئنا لنجدّد العهد ونصل ما انقطع بالكلمة الطيبة وبالحوار والمناجاة على صفحات مجلة

تطلب ضيافتكم وتسعى إلى التزود من حبر أقلامكم والتضلع من مداد أفكاركم.. فقد شهد لكم الرسول عليه الصلاة والسلام بالحكمة البالغة حيث قال: «الإيمان يماني، والحكمة يمانية». فهذه مجلة حراء تمدّ أيديها لكم بحرارة عسى أن تجد من بينكم من يصافحها بكل ذلك، وقطعا لن يخيب ظنها، فأنتم أنتم كما شهد لكم رسول الله ﷺ.

إن قلبي -أيها الأحبة- ليختلج طربا من الشوق إلى لقائكم والتملي بالنظر إلى وجوهكم، ولكن إذا عجز الجسد عن حضور مجمعكم، لموانع مما لا طاقة لي بدفعه من قدر الله، منها المرض وغيره مما الله به عليم، فإن الروح قد وصلت مع أول طليعة من إخوانكم من إسطنبول تطرق بابكم. إنني من مكاني هذا أشاهد بقلبي مجلسكم وأسمع حواراتكم وأتلذذ بجمال اللقاء كمن هو حاضر بينكم تماما. وإنني إذ أعلم حفاوتكم الكبيرة بإخوانكم الوافدين كحفاوة الأنصار بالمهاجرين فإنني أضع بين أيديكم وبين جوانحكم أمانة هي سبب من أسباب التواصل بين أفراد الأسرة الواحدة الذين فرقت بينهم المسافات الزمنية والجغرافية. مجلة حراء... ذلك أن الكلمة المكتوبة لم يزل لها شأنها الذي جعله الله لها ولن يزال أبدا، يجدد التاريخ ويستأنف سير الحضارة، لا ينافسها في ذلك شيء، مهما تطورت وسائل الإعلام الجديدة، إن الكلمة جزء من قدر الله العظيم، تفعل فعلها بأمره سبحانه، فلا يهزمها شيء ألبتة مذ حكم ﷻ بذلك في قوله تعالى: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾(القلم:١)، وما مجلة "حراء" إلا قبس من نور القرآن

الكريم، كتاب الله الجامع لهذه الأمة، الرابط لها بأصلها، والضامن لوجودها حاضرا ومستقبلا.

إن العالم الإسلامي -كما تعلمون- قد مزقته الرياح والجراح في كل مكان، فلا قطر منه إلا وهو يعاني من نزيف مستمر، لكننا واثقون بوعد الله العظيم في أن الآلام تلد الآمال، وإن صلة الرحم وتجديد التواصل بين الأحبة والإخوة في كل مكان في هذا العالم لهو السبيل لبذر حبة الحياة في تربة أمتنا، عسى أن نستنبت شجرة لشرايين الحياة فيها.

هذا، وإننا لنقدم مجلة حراء بادرة لبدء السير في هذا المسعى المبارك وفتح ثغرة في الطريق المسدود، وإننا لموقنون بذلك، لأن كلمة الله سبقت بقضائه نصرة لرسله وأتباعهم إلى يوم القيامة، ذلك أنهم أخلصوا في السعي إلى رفع ألوية المحبة والسلام ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾(الصافات: ١٧١-١٧٢).

بارك الله في مجمعكم، وزكّى حواراتكم، وجعل كل كلمة من كلماتكم الطيبة ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾(إبراهيم: ٢٤-٢٥).

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

"الروح" مفتاح نهضتنا[٦١٢]

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

إن النفس النبيلة تضفي -دائمًا- على الآخرين من نبْلها.. هكذا عرفنا أخانا الحبيب نوزاد صواش، وعرفنا جميع من معه في تركيا، لدرجة أن تركيا أصبحت عندي كبلدي مصر. أتواصل معها تواصل الروح مع الروح بعدما اكتشفتُ هذا العالَم الجديد. وأنتم تعلمون أن مصر حافلة بالتيارات، ولا ينقصها تيارات جديدة، لكني في الحق وجدتُ عند هؤلاء المَرفأ الحَنون، والرؤية التي تجمع بين ألَق العقل، وبين نور الوجدان، وبين صدق الكلمة، وبين التواضع العجيب، وبين الإخلاص الشديد... كلُّهم يحمل لافِتة، كلُّهم.. بدءً من الأستاذ فتح الله كولن ومرورًا بالجميع؛ هذه اللافتة مكتوب عليها "الخدْمة". كلُّهم يعيش للخدمة.. خدمة الأمّة، خدمة الدعوة، خدمة الفكرة...

إني أعيش معهم هذا الواقع. عشت معهم، بتُّ معهم. كنت أزهريًّا، ثم دخلت إلى كلية دار العلوم، وعشتُ كما يعيش كلّ مصريّ، لكني -وهذه شهادةٌ للتاريخ- لم أجد أبدًا في هذه الشقق التي يسكن فيها

---

[٦١٢] كلمة الأستاذ الدكتور عبد الحليم عويس في الحفل التعريفي بمجلة "حراء" باليمن، في ١١ فبراير ٢٠٠٨م. وكان مقدم الحفل الأستاذ نوزاد صواش المشرف العام على مجلة حراء.

طلاّب فتح الله كولن تَشاحنًا ولا تباغضًا مما يقع بين الشباب الذين يقطنون معًا، أبدًا... الجميع يتّسم بنوع من التواضع الغريب، والإخلاص العجيب الذي نفتقده في عالَمنا العربي.

قلتُ لنفسي، وأنا الأزهري الدرْعمي، تخرجتُ من كلية دار العلوم، كلية حسن البنا وسيد قطب، ونهلت من الأزهر تسع سنوات، ودخلت الأزهر وأنا أحفظ القرآن كلّه لا أُخطئ فيه كلمة، يوم كان الأزهر أزهرًا. نسأل الله أن يعود إلى مجده الزاهر، وأن تُبعَث هذه الأمّة من منابعها الفكرية والعلمية.

فوجدتُ نفسي مع هؤلاء الناس. فسخّرتُ ما بقي من عمري في خدمة قضيّةٍ رأيتُ لها شُموسًا تُؤمن بها، كأنّها غريبة في هذه الدنيا. لا تدري ما هذه الدنيا.. أعْرف شبابًا رفضوا الدنيا، أخلصوا للدعوة.. وجدتُ إخلاصًا عجيبًا.. هؤلاء فعلاً استيقظتْ فيهم وهْجة النور.. هؤلاء فعلا عادوا بنا إلى عصر الأنصار والمهاجرين.

أيها الإخوة والسادة وشيوخي الأماجد..!

لم ينتصر الإسلام بالكلمة المجردة "الإيمان".. ولم ينتصر الإسلام بـ"العقلانية" -والعقلانية جزء من هذا الدين- وإنما انتصر بشيءٍ أساس هو متفاح نهضتنا اليوم، بـ"الروح"... متى يتألّق فينا ألَق الروح؟ متى نعود إلى ما سمّاه إقبال "بعْث الذات المسْلِمة"؟ تلك هي القضية.

تعلّمتُ من فكْر الأستاذ فتح الله كولن الكثير.. ومن قبله تعلمتُ من رسائل النور وبديع الزمان سعيد النورسي أشياء كثيرة؛ رؤيةً قرآنية عصريةً منضبطة إسلامية.. كما تفهم كيف يُتعامَل مع القرآن، تَفهم أيضًا كيف يُفقَه هذا العصر، وما المطلوب لهذا العصر..

تلك هي المدرسة التي أصدرتْ "حراء" كواحدةٍ من ألف نشاط من نشاطاتها.. نشاطات هؤلاء القوم الذين لم يقوموا بعمل تنظيم ولا حزْب، ولا أعلنوا عن أنفسهم على أنّهم حركة.. هم عمل تطوّعي، خدَميّ لخدمة الأمّة وبعث الأمة.

مع ذلك أريد أن أعْبر عالَم الروح لأتكلم شيئًا عن عالم العقل في مشروع كولن. عندما نطلع على فكر الأستاذ فتح الله كولن نجد أنه مشخِّص حقيقي لأمراض الأمّة الإسلامية.

الأستاذ فتح الله يرى أنه لكي نقيم صرح الروح من جديد لا بدّ لنا من تحقيق صفات الوارث ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾(الأنبياء:١٠٥).

يرى أستاذنا أنه أننا مؤهَّلون، لكن بشروط:

- الإيمان الكامل: لا نقول كما كان الصحابة، ولكن نقترب ونسدّد.
- العشق، وتعمير القلب والعقل بالإيمان واليقين.
- الإقبال على العلم بميزان ثلاثية العقل - المنطق - الشعور.. آن لنا في كل تعاملاتنا أن نرمي وراء ظهورنا تلك الانفصالية التي سقطنا فيها منهجًا وفكرًا حول التناقض بين العلم والدين.
- إعادة النظر في قراءة الكون والإنسان والحياة في ضوء المزج بين الكتابين: المنظور والمسطور.
- حرّية الفكر للنفس وحرّية الفكر للغير. التحدي أمامنا الآن أن نستمع إلى الآخرين، أن نحاور الآخرين، لا نواجه عنفًا بعنْف، ولا انحطاطًا بانحطاط وإلا فنحن كالآخرين.
- إعادة النظر في المحركات التاريخة في حضارتنا، واستجواب

التغيرات والتحولات المختلفة للقرنَين الأخيرين بصفة خاصة للفكر الرياضي.. وهذا الأمر مهم جدًّا، لأننا عشنا في عصر الإنشائية كثيرًا، وآن لنا أن نتحكم في أفكارنا، أن نقدمها تقديما يقبله كلّ الناس، في عصرٍ تغلب فيه المسْحة العلمية.

مجلّتنا الحبيبة "حراء" نجحت في أشياء كثيرة، وبقيت لها أشياء. فأنا -وليسمح لي أخي نوزاد- سأقدّم بعض التقويم العابر، وبعض الأمنيات:

• الافتتاحية دائما للأستاذ فتح الله كولن تمثّل شمعة يُستقبل بها العدد. إيجابية الآفاق الجديدة في الخطاب الصحفي الإسلامي في هذا المزج بين قضايا عجيبة، سنتكلم عنها الآن.. في الحقيقة ما عهدناها في مجلة إسلامية، لا في شرقنا ولا حتّى في الغرب.

• التنوع في الموضوعات وارتفاع مستوى المعالجة.

• تألُّق الروح والتربية الإيمانية لاسيما في كلمة الأستاذ كولن.

• الأدب، قصة وشعرا، ودراسات كلها هادفة. ليس أدبًا للأدب ولا فنًّا للفن، كلّها تغرس بذورَ الإيمان وتزكّي الوجدان.

• رقيّ الفكر الإسلامي المقدَّم وابتعاده عن التقليد، بل ومعاصرته مع أصالته.

• تُقدّم المجلة أيضًا زادًا متنوعا يشبه مائدة حافلة في كثير من المجالات التي يحتاج إليها إنسان المسلم في عصر الهيمنة العولمية: تربية، علم النفس، تاريخ، حضارة، علوم، توظيف العلوم بالرؤية الإيمانية.

• عرض العلم بأسلوب الأدب مع الربط بالإيمان.

• علوم الجمال، والاهتمام بعلوم الجمال، وبالفنون، والدراسات الإسلامية بطبيعة الحال.

- روعة الإخراج الفنّي.
- هناك أسماء ثابتة فعلا للمجلة، والمجلة في حاجة إلى أقلام أخرى من اليمن وغيرها.
- كون المجلة دورية، هذا يفصل بين المجلة والقارئ، لا بد أن تكون شهرية.
- المجلة تضمّنت حتى الآن في الأعداد العشرة التي صدرت -وآخرها تلقّيناه أمس في القاهرة- ١٩٧ مقالاً ما بين دراسة وقصيدة ومقالة أدبيّة وبحث علمي وأكاديمي، وبحث علمي إيماني، وبحث علمي أدبي. إلخ.
- النواحي العلمية ٢٦ بحثا.
- علم النفس والتربية ٢٦ بحثا.
- الأدب والشعر والقصة ٤٦.
- الفلسفة والجماليات ١٨بحثًا.
- الفكر والحضارة، ويمكن أن يدخل فيها الدراسات الإسلامية والسيرة ٦٦ بحثًا.

إذا قسّمناها على الناحيتين التاريخ والحضارة والدراسات الإسلامية نجد حوالي عشرين فقط للتاريخ والحضارة، وأكثر من ٤٠ أو ٤٤ إسلاميات.

- مجموعة الدراسات والأدبيات في الأعداد العشر ١٩٧ تمامًا.

في الحقيقة ١٩٧ مقالة أو دراسة أو بحث تمثّل مدرسة وتمثل مائدة حافلة. أنت عندما تقرأ هذا العدد بهذا التفصيل سيؤكّد لك ما قلتُه سلفا من أنّ هذه المجلة نوعية جديدة في الكتابة الإسلامية.. إذا قرأها العلْميُّ

سيرى أنها علمية، الأديبُ سيرى أنها أدبية، المفكرُ المسلم سيرى أنها أيضًا تغذّيه.. ثم إن العمل الإسلامي في هذا العصر يحتاج إلى هذه الشمولية، لأن الإسلام فضيلة عادلة -كما يقول الشيخ الغزالي- بيْد أنه وقع -مع الأسف- في يد محامين فاشلين.

نسأل الله أن تنتهي هذه المرحلة، وجزاكم الله خيرا..

والسلام عليكم ورحمة الله.

الإسلام في حاجة إلى فعل [٦١٣]

الكلام الطيب والرائع الذي قاله أستاذنا مصطفى أوزجان[٦١٤] أنا عشته.. "خطابكِ لم أقرأْه لكن حفظتُه".. فهناك كلمات تُقرَأ وهناك كلمات تعاش.

ذات يوم كنّا نتناول طعام الإفطار في مدينة "أَسْكِيشَهر" فيما يبدو لي، فسمعتُ هذه القصة من صاحبها؛ كان مديرًا لمدرسة في أَسْوء مكان في العالم تقريبًا، في سِبيرْيا.. درجة الحرارة ستين تحت الصفر، السيارة تمشي فوق الجليد. فهذا المعلّم يحبّ المدرسة التي أنشأها، يُظهر نزعته الإنسانية للجميع.. ينطلق من الإسلام الرحمة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾(الأَنْبِيَاء:١٠٧). كان في بيته يتناول الطعام للإفطار أو الغداء، سمِع أنّ طفلاً من أطفال المدرسة وقع من الطابق الثاني ومات. خَشي أن يكون هذا الطفل ابنًا لأحد المسؤولين الكبار. فكان كلّ همّه ألا تكون المدرسة بعد ذلك موضعًا للنقد. فهرول -وكان مسؤول المدرسة التي وقع منها الطالب- فُوجئ بأن الذي وقع من الطابق الثاني ومات هو ابنه، نعم الذي وقع كان ابنُه.. فسجد لله شكرًا على أن الذي مات لم يكن ابنًا

---

[٦١٣] كلمة الأستاذ الدكتور عبد الحليم عويس في الحفل التعريفي بمجلة حراء أكتوبر ٢٠٠٦ / القاهرة.

[٦١٤] أحد مستشاري مجلة حراء.

لمسؤول في سيبريا، فيضطهد المدرسة فيما بعد وتسوء سمعتها.

مناظر عشتُها مع هؤلاء الإخوة، كأنني أعيش في عصر أهل الصفّة. لكن لم يعد مكان أهل الصفّة هو مسجد المدينة، أصبح العالم كله مسجدًا لهم. في أي مدينة تذهب إليها تجدهم هناك، لم يعودوا يمثّلون العالم التركي فقط، بل يمثّلون العالم المسلم، الإنسان المسلم في كل مكان..

أصبحتُ أحفظُه، كأني تلميذ في مدرسة "الخدمة".. كلهم يعمل في الخدمة، بدءًا من أعظم الرجال في تركيا إلى أقلّ طالب علم في كلية الشريعة أو أصول الدين هنا، يطلب العلم ويطلب الماجستير أو يطلب الدكتوراه، كلهم هذا هو شأنهم، لكنهم قبل ذلك وبعد ذلك في الخدمة يخدمون الناس ويخدمون إخوانهم.

تدخل إلى بيوتهم -وقد عشتُ معهم عشر سنوات حتى الآن- لا تجد أبدًا شيئا مما نعرفه نحن في مجتماعاتنا الشرقية من مشاحنات، أبدا.. عشر سنوات وأنا أرقب مشاحنة، أبدا... الكلُّ يعرف دَوره، كأنهم ولْدان مخلَّدون. عشتُ الإسلام معهم لدرجة أن زوجتي -رحمها الله- كانت تعجب عندما أقول لها "إنني أحبّهم أكثر من أبنائي"، ما كانت تصدّق، لكن أنا والله كنتُ أقول صادقا. كلّنا يلقى من أولاده بعض الشيء، لكن أنت عندما تذهب كضيف وتبدأ بخلع حذائك، سيتقدم الأستاذ كمال، ويتقدم الأستاذ نوزاد، ويتقدم الأستاذ جمال، يتسابقون لحمل حذائك، لخلع جكيتك، يعاملونك كأنك أستاذ كبير، حتى ولو كانوا أفضل منك، وأقرب إلى الله منك.

يعيشون في ظل كلّ القوانين، وعندهم فنّ التعامل مع كل القوانين، فلا يشكون زمنهم، ولا يشغلون أنفسهم بسبّ هذا وسبّ ذاك أبدا، أو نقد

هذا ولا ذاك.

كل قنواتهم التلفزيونية قلْبها وجوهرها هو "الإسلام"، ربما لا تتحدث عن كلمة "الإسلام" لكنها تفعل الإسلام.. إنك ترى القلب الإسلامي والروح الإسلامية في داخل تلك المؤسسات حتى في الدراما التي تقدَّم. كلّ شيء هو "الإسلام" بدون أن تستثير الناس، وبدون أن تبين أنها جبهة ضدّ الجبهات، لأن الناس كلهم مسلمون بالفطرة.

أما قضية الإذاعات والمجلاّت، فهذه قضية حدّثْ عنها ولا حرج، تجد مجلات كثيرة بكلّ اللغات. مدُنهم الجامعية كثيرة. كل الاحتياجات التي يحتاجها الساكنون تُقدَّم من مصانعهم.. نجحوا فيما لم ننجح نحن فيه.. أقنعوا أصحاب المال بأن الإسلام انتشر على يد أبي بكر ﷺ عندما تبرّع بكل ماله، وعمر ﷺ بنصف ماله.

بعض هؤلاء رأيتُهم في الشوارع كأنهم ناس عاديّون، ربما تُخطئ فتعطيه وتساعده من مالك.. مثلا أحدهم "الشيخ علي"، لا أنساه، إنه يلبس بنطلونًا عاديًّا جدًّا، لقد بنى أحد عشر قصرا، "قصرًا" بمعنى الكلمة؛ ثلاث طوابق مجهَّزة بأحدث الآلات.. فأخذ لنفسه قصرا ولابنه قصرا، وتبرع بتسعة قصور للخدمة.

كلمة السر لـ"الخدمة".

قلت له: أشكرك على هذا، وجزاك الله خيرا..

فقال لي: على ماذا تشكرني؟ فالله أعطاني، وأنا أخذتُ ما أحتاجه مما أعطاني، وتركتُ الباقي له تعالى، تركتُه لله.

ذات يوم كنّا في مؤتمر، آثرتُ أن أُقيم مع بعض إخواني في منتجع طيّب جدًّا وقصْر فخم في عرائش، ولم أسكن في الفندق.

قالوا لي: هذا الرجل الذي يأكل معك ويشرب الشاي معك هو صاحب القصر.

قابلتُه وقلت له: أنا من قرية محدودة، لكن عندي استراحة بسيطة، بسيطة جدًّا لا تساوي شيئًا بالنسبة لاستراحتك، لكن إذا جئتَ إلى مصر فتفضّل إلى عندي.

فقال لي: أنا أيضا بيتي هو كذلك، لو جئتني إلى بيتي ستجد بيتا عاديًّا جدا.

قلت له: طيب وهذا؟

قال: لا، هذا للخدمة، هذا لله.. لا بد أن نُعطي للخدمة أفضل ما عندنا.

وهناك "الحاج علي" آخر.. سهرنا معه ليلة في شعبان الماضي. تبرّع في يوم واحد بـ ٢٠٠ ألف دولار. الحاج علي هذا عزَمنا في ليلة النصف من شعبان.. وبالمناسبة أن المسلمين هناك لم يشغلوا أنفسهم بهذا الكلام الذي نشغل به أنفسنا؛ هذه بدعة، وهذه ليست بدعة، بل ينتهزون كل الفرَص لتحقيق الولاء، الولاء للرسول ﷺ، الولاء للإسلام.

الحاج علي عزَمنا، تعشَّينا عندهم، حيث كانت استراحتي مع زميلي سعيد مراد -وهو معنا الآن، وهو أستاذ في جامعة الزقازيق- فُوجئْتُ وأنا داخل المبنى بأن هناك صخبًا في الطابق الثامن أو التاسع، نزلتُ ووجدت مئات الطلاّب يتهجّدون، يقرؤون القرآن، إلى الفجر.. قالوا لي: قلْ كلمة، اقرأ علينا سورة "يس"، وقرأت سورة يس وقلت الكلمة، وبدأتُ أعيش مع الطلبة.. فُوجئتُ بأن الحاج علي الذي تبرّع في يوم واحد بـ ٢٠٠ ألف دولار، يلبس جلبابًا بسيطا ويعيش وسط الطلبة، ولعله وحْده أو مع شريك آخر يتحمّلان كلّ النفقات التي يحتاج إليها هذا المبلغ.

الإسلام الآن في حاجة إلى فعْلٍ، إلى هذا الأسلوب.. والعالم في حاجة إلى إسلام لا بد أن نقدّمَه بخُلق راق.

لا يقولون لك: "قم فصلِّ"، يتركونك، وهم يصلون. يأتون بأولاد في مدن جامعية لا يكلّمونهم في شيء. هو له أو عليه، فيرى الحياة، يرى المناخ، فيعشق المناخ.. وفعلاً عشقتُهم وأحببتُهم.

ليست مجلة "حراء" إلا لفتة جديدة. لفتة تفاعل حضاري تواصلي حقيقي مع مهد الرسالة ومع أمّة العرب وأمة الإسلام. الحمد لله، بعيدا أيّ صخب، بعيدا عن أي ضجيج أو صدام سياسي. أنا فرح بـ"حراء"، أعتبرها بنْتا لي، وأعتبرها بنتًا لحركة نشطة استطاعت أن تكون في مستوى الإعلام، تتفاعل مع الكل.

أتمنى أن تكون "حراء" أيضا جسرا جديدا بيننا وبينهم، وأتمنى أن يتعانق العالم التركي مع العالم العربي. نحن نتفاعل ونتحاور مع الآخرين، وكذلك يجب أن نحاور أنفسنا، ويجب أن نحبّ إخواننا وأن نعرف التجارب الأخرى حتى لا نيأس. بعضُنا ييأس لأنهم عاشوا في نقطة مركزية وهي واقع سياسي محدود.. أما هؤلاء فعالَمهم هو عالَم الإسلام، وأرضُهم هي أرض الإسلام مع كل مسلم في العالم..

هذه لفْتة طيبة عن هؤلاء الناس، أتنمى أن تكون فاتحة خيرٍ للتّعرف على الجوانب الأخرى في حياتنا الإسلامية، ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ﴾(الْمُدَّثِّر:٣١).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أمة في رجل [٦١٥]

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وإمام حضارة المسلمين سيدنا ونبينا وإمامنا وقدوتنا ومعلّمنا ومثلنا الأعلى "محمد بن عبد الله" عليه الصلاة والسلام.. وبعد:

فلقد ألححتُ على أخي الأستاذ نوزاد ألا يضعني بعد كلمة أستاذنا وحبيبنا الشيخ خوجا أفندي فتح الله كولن أطال الله عمره.. لأني أعرف أني ابتداء سأخسر كثيرًا من أوراقي، والإنسان لا يدخل معركة خاسرة. وعلى أية حال سامحه الله، وضعني في امتحان صعب حين جيء بمثلي لأكون بعد هذا الإمام العالَمي الأُخروي الرائع.. هذا الذي ضرب لنا ولكلّ الدعاة المسلمين في العالم، ولكل مَن يهتمّون ومن يهمّهم أمر هذا الدين، وضع لنا النموذج، وأقام علينا الحجة.

كان واعظًا، لم يكن أكثر من ذلك.. بدأ حياته واعظًا تابعًا للحكومة، فيما يسمّى عندنا نحن "وزارة الشؤون الإسلامية للأوقاف" ويسمّوها "دِيانَت" في تركيا. ومع ذلك، هذا الرجل العظيم الذي ولد سنة ١٩٤٢م،

---

[٦١٥] كلمة الأستاذ الدكتور عبد الحليم عويس التي ألقاها في الحفل التعريفي بمجلة حراء عام ٢٠٠٨م / القاهرة. ولقد كان مقدّم الحفل نوزاد صواش، المشرف العام على مجلة حراء. وجاءت كلمة الدكتور بعد رسالة الأستاذ فتح الله كولن التي أرسلها إلى الحفل.

يعني مثلي أنا، وأنا في قمّة القاع من تحت، يعني بيني وبينه سنة واحدة.. أظن يجب أن أبكي على ما ضاع من عمري. وكلُّنا جميعًا يجب أن نتحسّر على أننا لم نصْنع شيئا بالنّسبة لهذا الرجل. لو علمتم ماذا صنع؟!

أريد أن تعلموا فقط أن هذا الرجل عاش كبقيّة الدُّعاة إلى الله في أكلح الظروف التي عرفتْها تركيا. لم يبك على ما فات ولم يلعن الظلام، وكلنا يعيش للعْن الظلام.. فانطلق من رؤية تفاؤلية إيمانية واثقًا ثقة كاملةً في الله وحده.. عندي من طرائف ابتعاده عن الحرام، عندي من طرائف تمسّكه بالحلال حتى في أصعب الظروف، حتى بعد أن ينتهي الناس من صلاة العشاء في المسجد الذي كان يعمل فيه، كان لا يُحِلّ لنفسه أن يستغلّ كهرباء الحكومة؛ مع أن بعضنا يفتي بأنها علمانية يجوز أن تُسرق، لكنّه أبدا ما سوَّغ لنفسه أكْل حرام. كان يأتي بمصباح ويترك كهرباء المسجد، ويشتغل في المصباح إلى مطلع الفجر أو إلى قُبيل مطلع الفجر. وحوّل المسجد إلى قناة دعوية كبيرة حتى بدأت الأمورُ تزداد بعض الشيء، وأنتم تعرفون في عالمنا المسمّى بـ"الإسلام" أن المساجد هي أكبر الأشياء مُراقبة من جهات الأمن والحكومات، في كل عالمنا الإسلامي، وكلُّنا في الهم شرقُ، لكن بدرجات.

عرف الرجل كيف يقيم دعوته، "ليس لدينا سياسة ولا نريدها"، وسنبتعد عن كل مجال يجعلنا نصطدم. فاعتمد على الاقتصاد، على "الأصناف"، على رجال الأعمال، يسمّون "الأصناف" في تركيا، وبدأ يغذّيهم. وأنا سعيد بأنه بدأت ومْضة أو ومضات في مصر تعيد إلينا كثيرًا من بعض رجال الأعمال وتُبصِّرهم بأنهم ركْن أساس في إقامة النهضة. فعندما تتكامل بعض الشُّقق تُحَوَّل إلى مسكن لمدينة جامعية أو مدينة

طلابية في الثانوية، ويؤخذ لها تصريح قانوني.

المهم الرحلة طويلة وشاقة ولا تَخلو من معاناة ومُلاحقات ومن جوع ومن شظف. على كل حال، بدأ يفكر في المساعدات الأخرى، لأن المدارس لا بد أن تُبنى، بل طمح إلى بناء الجامعات.

لو تعلمون أنه هناك ٩٠٠ مدرسة في العالم الآن تستلهم فكر هذا الواعظ الأستاذ العظيم.. لو تعلمون أن هناك جامعة تُعتبر في الدرجة الثانية أو الأولى في تركيا. وتعلمون أنه لا يمكن حصر عدد الدعاة الذين يقومون على شيء اسمه "الخدمة"، كلمة الخدمة تَساوَى فيها الكبير والصغير.

في تركيا أظن أربع قنوات تلفيزيونية تنافس القناة الحكومية. في تركيا جريدة "زمان" توزع مليون نسخة يوميًّا، بتأثير هذا المفكّر العظيم.

أخونا الذي قال بأنَّ فتح الله كولن يُشرف عليها، أبدًا.. لا يشرف الأستاذ فتح الله بهذا الشكل. الأستاذ فتح الله كأنه شمسٌ كوَّن أجيالاً أُشبعت بأشعّة هذا الشمس. هو ينْظر إلى الأشياء الكبرى والكلّية..

لذلك هذه نصيحة للذين يقودون الأعمال أن يُنشئوا أجيالاً. الحياة والموت بيد الله، ولا تستطيع أنت أبدًا أن تعمّر الكون بذاتك، أو بخمسة من حولك.

واللهِ أنا فكّرتُ كثيرًا كيف صنع هذا الأستاذ فتح الله كولن من نفسه هذا الإنسان، وهو واعظ تقليدي.

وأيضا كيف استطاع أن يصنع هؤلاء الرجال؟! أنا عشتُ معهم في كثير من الأماكن ليس في تركيا وليس في مصر، بل في ألبانيا بل في أوروبا، عشتُ معهم.. كنت أسكن في مدارسهم لأن لهم أنواعًا من المدارس

يمكن أن تُقيم فيها، إلخ.. كيف رُبُّوا على هذا النسق الرائع من الخضوع والطاعة والحبّ والتواضع.. كيف ربُّوا؟!

والله عندما يُخلِص الإنسان ويتجرد، وعندما تنبعث الروح فيه.. نعم لقد بدأ الأستاذ من الروح، بدأ من القلب، وجاء العقل فأتمّ بعد ذلك مكوّنات الفعل الحضاري.. فالأستاذ بدأ من هنا، فعرف الطريق، ولم يسمح لأيّة عوامل خارجية أو أجنبية أو كذا.. ما فكّر في الهجوم على مسلم قطّ، حتى ولو هاجمه هذا المسلم. ما فكّر في تمزيق المسلمين إلى "صوفية" يُناوئهم أو "سلَفية"، أبدًا.. هذا كلام العاطلين والفارغين، هذا كلام الذين لا قضية لهم. لكنه كانت له قضية، وهذه القضية ليست تركية ولا عرَبية، هي "قضية إسلامية وإنسانية".

هذا هو الأستاذ فتح الله كولن، لا أحدِّثُكم عن خمسين تقريبا دار نشر مبثوثة في العالم.. وهناك قناة فضائية في أوروبا.. هناك قناتان في أمريكا..

يا أيها الدعاة! أرض الله واسعة، لا تقولوا "إنّنا مظلومون"!. وكما يقول الأستاذ وأستاذنا جميعًا: "لكي يعطينا الله قيادة الكون لا بد من تربية أجيال تستأهل التمكين والقيادة".

فجزاك الله عنّا خيرًا يا أعظم رجل في حياتنا المعاصرة.. وفعلاً هو أخذ الرجل الأوّل في بعض المسابقات العالمية.

جزاك الله عنا خيرًا، وأبقى لك حياتك لنا، وحفظك لنا، وحفظك للإسلام، وجعل المدارس تنتشر هنا وهناك في كل بلاد الإسلام على نهجك الذي علّمتَه إيّانا. وجزاكم الله خيرًا.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.